

مَعْنَى الْإِيمَانِ بِاللّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: أَنْ تُوْمِنَ بِوُجُودِهِ، وَبِرُبُوبِيَّتِهِ، وَبِأَلُوْهِيَّتِهِ، وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

وَقَدْ مَرَّ إِقَامَةُ الدَّلِيلِ مِنَ الْعَقْلِ، وَالْحِسِّ، وَالْفِطْرَةِ، وَالنَّقْلِ، عَلَى وُجُودِ ذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ ﷻ.

وَمَرَّ أَنَّ هُنَاكَ فَرَضِيَّاتٍ ثَلَاثًا يُمَكِّنُ أَنْ تُذَكَّرَ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنْ وُجُودِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، وَهِيَ أَنْ يُقَالَ: هَذَا الْكَوْنُ كُلُّهُ مِنْ صَنَعِهِ؟

وَالْجَوَابُ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ، أَوْ أَنْ يَكُونَ مِنْ صُنْعِ ذَرَّاتِ الْمَادَّةِ، وَأَجْزَائِهَا وَعَنَاصِرِهَا، عَنْ قَصْدٍ وَإِرَادَةٍ وَعِنَايَةٍ مِنْهَا؛ أَيْ: أَنَّ عَنَاصِرَ الْمَادَّةِ الْأَصْلِيَّةَ فَكَّرَتْ وَدَبَّرَتْ، وَقَدَّرَتْ، وَاتَّفَقَتْ عَلَى صُنْعِ تَنْوَعَاتِ هَذَا الْعَالَمِ، بِهَذِهِ الْأَشْكَالِ وَالصُّوَرِ الَّتِي نَرَاهَا وَنُحِسُّهَا، فَتَكُونُ قَدْ أَوْجَدَتْ نَفْسَهَا.

وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ الْكَوْنُ بِمَا فِيهِ قَدْ تَكَوَّنَ بِطَرِيقِ الْمُصَادَفَةِ؛ أَيْ: أَنَّ جُزْئِيَّاتِ الْكَوْنِ الْكَهْرُبَائِيَّةِ الَّتِي تَتَأَلَّفُ ذَرَّاتُ الْكَوْنِ مِنْهَا، وَجَدَتْ مُصَادَفَةً وَكَانَ - هَكَذَا مُصَادَفَةً - بَعْضُهَا سَالِبًا، وَبَعْضُهَا مُوجِبًا، وَالْآخَرُ مُعْتَدِلًا.

كُلُّ ذَلِكَ وَجَدَ مُصَادَفَةً، وَكُلُّ جُزْيٍ سَالِبٍ التَّقَى بِجُزْيٍ مُوجِبٍ مُصَادَفَةً، ثُمَّ تَدَرَّجَتْ هَذِهِ الْجُزْئِيَّاتُ، وَشَكَلَتْ مَعَ بَعْضِهَا الْأَنْوِيَّةَ مُصَادَفَةً، وَالْجُزْئِيَّاتُ السَّالِبَةُ أَخَذَتْ تَدَوُّرَ حَوْلِ هَذِهِ النَّوَةِ مُصَادَفَةً، وَكَانَ بَيْنَ النَّوَةِ وَغِلَافِهَا فَرَاحَاتٌ لَوْلَاهَا لَكَانَ جِرْمًا كَالْأَرْضِ بِحَجْمِ الْبَيْضَةِ، كُلُّ ذَلِكَ وَجَدَ مُصَادَفَةً.

وَوُجُودُ الْمَدَارَاتِ الثَّابِتَةِ لِكُلِّ ثَمَانِيَةِ كَهَارِبَ كَانَ مُصَادَفَةً، وَوُجُودُ إِمْكَانِيَّاتِ

الِاتِّحَادِ بَيْنَ الْعَنَاصِرِ لِتَشْكِيلِ مُرَكَّبَاتٍ جَدِيدَةٍ بِسَبَبِ نَقْصِ الْإِلِكْتَرُونَاتِ عَنِ الثَّمَانِيَةِ فِي غِلَافَاتِ بَعْضِ الذَّرَّاتِ كَانَ كُلُّ ذَلِكَ مُصَادَفَةً.

ثُمَّ كَانَ اتِّحَادُ الْعَنَاصِرِ وَاجْتِمَاعُهَا؛ لِتَكُونَنَّ هَذِهِ الْأَجْرَامُ الْهَائِلَةُ مِنَ الشَّمْسِ مُصَادَفَةً، وَكَانَ انْتِظَامُ الشَّمْسِ فِي مَدَارَاتِهَا، وَكَذَلِكَ انْتِظَامُ الْكَوَاكِبِ فِي مَدَارَاتِهَا كَمَا تَنْتَظِمُ الْآلَةُ، وَكََمَا تَنْتَظِمُ الْإِلِكْتَرُونَاتُ حَوْلَ الْأَنْوِيَّةِ، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ مُصَادَفَةً.

وَكَذَلِكَ الْحَرَارَةُ الْمَوْجُودَةُ فِي الشَّمْسِ وَالْإِشْعَاعِ.

وَمَعَ التَّرْتِيبِ الَّذِي كَانَ: إِمَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ كَانَ مُصَادَفَةً، كَمَا يَقُولُونَ.

وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ صُنْعِهَا نَفْسِهَا.

وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ خَلْقِ الْخَلَاقِ الْعَلِيمِ.

ثُمَّ هَذِهِ الْأَرْضُ بَوَضِعِهَا الَّذِي هِيَ عَلَيْهِ، صَالِحَةٌ لِلْحَيَاةِ، قِشْرَتُهَا، وَهَوَاؤُهَا، وَمَاؤُهَا، وَجِبَالُهَا، وَحَجْمُهَا، كُلُّ هَذَا وَجِدَ مُصَادَفَةً.

ثُمَّ الْحَيَاةُ بِتَنْوِيعَاتِهَا، وَتَرْكِيبَاتِهَا، وَأَجْهَزَتِهَا الْمُعَقَّدَةِ، أَوْجَدَتْ هَذِهِ كُلُّهَا مُصَادَفَةً؟!

ثُمَّ الْإِنْسَانُ بِعَقْلِهِ وَفِكْرِهِ، وَتَرْكِيبِهِ وَرُوحِهِ وَأَخْلَاقِهِ، وَاسْتِعْدَادَاتِهِ وَتَصَوُّرَاتِهِ، الْخَيَالِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ مَعَ إِمْكَانِيَّاتِ التَّسْخِيرِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، أَوْجَدَ كُلُّ هَذَا مُصَادَفَةً؟!

إِمَّا أَنْ نَقُولَ: إِنَّ هَذَا كُلَّهُ وَجِدَ مُصَادَفَةً.

وَإِمَّا أَنْ نَقُولَ: أَوْجَدَ نَفْسَهُ.

وإِذَا قُلْنَا: أَوْجَدُهُ غَيْرُهُ.

وَإِذَا قُلْنَا: أَوْجَدُهُ غَيْرُهُ، فَلَا شَكَّ أَنَّ غَيْرَهُ لَا يَكُونُ كَهَيْئَتِهِ وَحَالِهِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مُحْتَاجًا لِلْوُجُودِ مِنْ غَيْرِهِ أَيْضًا، لَدَخَلْنَا مِثْلَ مَا خَرَجْنَا.

فَنَقُولُ: وَمَنِ الَّذِي أَعْطَاهُ الْوُجُودَ؟

فَيَكُونُ الَّذِي أَعْطَاهُ الْوُجُودَ غَيْرُهُ، وَهَكَذَا، حَتَّى نَصِلَ إِلَى مَوْجُودٍ، وَوُجُودٍ لَيْسَ مِنْ غَيْرِهِ، وَهُوَ يُعْطِي الْوُجُودَ لِغَيْرِهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ.

فَاللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - هُوَ الَّذِي يُعْطِي الْوُجُودَ لِكُلِّ مَوْجُودٍ.

فَهَذِهِ احْتِمَالَاتٌ تُطْرَحُ عِنْدَمَا تُنَاطَرُ مُلْحِدًا يَزْعُمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ، وَأَنَّ الْكَوْنَ مَادَّةٌ، وَأَنَّهُ لَا خَالِقَ وَلَا مُوجِدَ لِهَذَا الْكَوْنِ كُلِّهِ.

فَأَنْتَ حَبِيبِي، نَقُولُ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَوْنَ بِكُلِّ مَا فِيهِ، قَدْ وُجِدَ مُصَادَفَةً، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ أَوْجَدَ نَفْسَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَوْجَدَهُ غَيْرُهُ.

هَذِهِ افْتِرَاضَاتٌ ثَلَاثَةٌ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ غَيْرُهَا؛ لِتَعْلِيلِ وُجُودِ هَذَا الْكَوْنِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ.

الْفَرَضُ الْأَوَّلُ: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - خَلَقَهُ، وَصَنَعَهُ، وَأَوْجَدَهُ، وَهَذَا يَقُولُ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ.

الْفَرَضُ الثَّانِي: وَهُوَ أَنَّ الْكَوْنَ أَوْجَدَ نَفْسَهُ، وَأَنَّ الْمَعْدُومَ أَوْجَدَ نَفْسَهُ، وَهَذَا لَا يَقُولُ بِهِ أَحَدٌ.

وَأَمَّا الْفَرَضُ الثَّالِثُ - فَيَقُولُ بِهِ الْمَادِيُّونَ -: إِنَّمَا وُجِدَ مُصَادَفَةً.

فَنَحْنُ إِذْنُ أَمَامَ فَرَضَيْنِ: إمَّا أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَوْنُ بِشَوْعَالِهِ مِنْ صُنْعِ صَانِعٍ لَهُ إِرَادَةٌ، طَبَقًا لِمَبْدَأِ السَّبَبِيَّةِ، الَّذِي يَقْرَهُ عَقْلُ كُلِّ عَاقِلٍ.

وإِمَّا أَنْ يَكُونَ نَتِيجَةَ الْمُصَادَفَةِ، وَإِذَا بَطَلَ أَنْ يَكُونَ مِنْ قِبَلِ الْمُصَادَفَةِ، فَلَا بُدَّ مِنَ الصَّرُورَةِ إِلَى الْفَرَضِ الثَّانِي، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَوْنُ بِشَوْعَالِهِ مِنْ صُنْعِ صَانِعٍ لَهُ إِرَادَةٌ، طَبَقًا لِمَبْدَأِ السَّبَبِيَّةِ.

فَلَنَنْظُرُ أَيًّا مِنَ الْفَرَضَيْنِ يَقُومُ عَلَيْهِ الْبُرْهَانُ، وَأَيًّا مِنْهُمَا لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ، وَلَا بُرْهَانَ؛ لِأَنَّ الْمُصَادَفَةَ فِي حَدِّ ذَاتِهَا، تَكُونُ أَحْيَانًا مُمَكِّنَةً، وَتَكُونُ أَحْيَانًا فِي حُكْمِ الْمُسْتَحِيلَةِ عَقْلًا.

فَلَوْ أَخَذْنَا لَوْحًا مِنَ الْخَشَبِ، وَغَرَزْنَا فِيهِ إِبْرَةً، وَوَضَعْنَا فِي ثُقْبِهَا (فِي سَمِّ الْخِيَاطِ مِنْهَا) إِبْرَةً ثَانِيَةً، وَرَأَى إِنْسَانٌ هَاتَيْنِ الْإِبْرَتَيْنِ، وَسَأَلَ كَيْفَ أُدْخِلْتَ الثَّانِيَةَ فِي ثُقْبِ الْأُولَى؟

فَأَخْبَرَهُ إِنْسَانٌ مَعْرُوفٌ بِالصِّدْقِ أَنَّ الَّذِي أُدْخِلَهَا رَجُلٌ، وَضَعَ بِيَدِهِ الْإِبْرَةَ الثَّانِيَةَ فِي سَمِّ خِيَاطِ الْأُولَى، ثُمَّ أَخْبَرَهُ إِنْسَانٌ آخَرُ مَعْرُوفٌ بِالصِّدْقِ - أَيْضًا - أَنَّ الَّذِي صَنَعَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ صَبِيٌّ صَغِيرٌ، وَلَدَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ أَعْمَى، فَحَذَفَ الْإِبْرَةَ، فَوَقَعَتْ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ بِطَرِيقِ الْمُصَادَفَةِ، يُصَدِّقُ أَيُّ الْخَبَرَيْنِ؟

لَا رَيْبَ أَنَّهُ يَمِيلُ إِلَى تَصْدِيقِ الْأَوَّلِ؛ وَلَكِنَّهُ أَمَامَ صِدْقِ الْمُخْبِرَيْنِ يَرَى أَنَّ الْمُصَادَفَةَ مُمَكِّنَةً.

فَيَقُولُ: جَائِزٌ أَنْ تَكُونَ هَكَذَا وَقَعْتَ، أَلْقَى بِهَا فَوَقَعَتْ بِسِنَّهَا فِي سَمِّ خِيَاطِ

الأولى المغرورة في الخشب، فهذا رجل صادق.

فقد تكون المصادفة حينئذ ممكنة، ولا يجوز حينئذ ترجيح أحد الخبرين على الآخر؛ ولكن لو رأى هذا الرجل إبرة نالته مغرورة في سم خياط الثانية، فهل يبقى عدم الترجيح على حاله؟

يعني: قال من صنع هذا؟

فقال: فلان، رجل عامل هو يعرفه، فوضع هذه في هذه، وهذه في هذه.

ثم جاء آخر، وهو معروف عنده بالصدق أيضا، فقال: إنما ولد صبي أكمه، خرج كذلك أعمى من بطن أمه، ثم إنه ألقى بها هكذا، ف وقعت، وقعت الثانية في الأولى، ثم وقعت الثالثة في الثانية، هل يصدق؟ هل يبقى على عدم الترجيح؟ الحقيقة أنه يتقوى - حينئذ - ترجيح القصد عند من فعل ذلك قصدا على المصادفة؛ ولكن لا يزال للمصادفة محل، ولو كان ضعيفا.

فإذا ما رأى الرجل أن هناك عشر إبر، كل واحدة منها قد غرزت في سم خياط التي تليها، فهل يبقى ترجيح فكرة القصد على وضعه السابق؟

الحقيقة: أن ترجيح فكرة القصد يتقوى لدرجة تتلاشى معها فكرة المصادفة؛ يعني: إذا رأى الإنسان عشر إبر، قد وضعت بسنّها؛ كل واحدة منها في سم خياط التي سبقتها، هكذا.

فلما سأل أخبره رجل: إن ذلك من فعل عاقل بقصد.

ثم جاء آخر، فقال: لا، بل إن صبيّا أعمى، قد ألقى بها هكذا، فكانت على

النَّحْوِ الَّذِي تَرَاهُ.

تَتَلَاشَى فُرْصَةَ الْقَوْلِ بِالمُصَادَفَةِ مَعَ هَذَا التَّكَرَّارِ، ثُمَّ قَدْ تَتَعَقَّدُ الْمَسْأَلَةُ أَكْثَرَ،
حَتَّى تَتَلَاشَى مَسْأَلَةَ الْمُصَادَفَةِ أَصْلًا.

يَعْنِي: لَوْ قُلْنَا إِنَّ الْإِبْرَ الْعَشَرَ قَدْ رُقِمَتْ بِخُطُوطٍ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا - مِنْ
الْخُطُوطِ - مَا يَدُلُّ عَلَى رَقْمِهِ مِنَ الْوَاحِدِ إِلَى الْعَشْرَةِ، وَقِيلَ لَنَا فِي الْخَبَرِ: إِنَّ
صَبِيًّا أَعْمَى، أُعْطِيَ كَيْسًا فِيهِ هَذِهِ الْإِبْرُ الْعَشْرُ، قَدْ خُلِطَتْ مُشَوَّشَةً، وَأَنَّهُ كَانَ
يَضَعُ يَدَهُ هَكَذَا فِي الْكَيْسِ، ثُمَّ يُخْرِجُهَا، فَيَحْذِفُهَا، فَتَقَعُ فِي سَمِّ خِيَاطِ الَّتِي
قَبْلَهَا، عَلَى التَّرْتِيبِ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى عَشْرَةٍ.

يُلْقِيهَا اعْتِبَاطًا، وَتَقَعُ الْأُولَى فِي سَمِّ خِيَاطِ الْمَغْرُوزَةِ، وَالثَّانِيَةُ فِي الْأُولَى،
وَالثَّالِثَةُ فِي الثَّانِيَةِ، وَالرَّابِعَةُ فِي الثَّالِثَةِ، حَتَّى أَتَمَّ إِدْخَالَ الْإِبْرِ الْعَشْرِ عَلَى هَذَا
التَّرْتِيبِ، بِالْأَرْقَامِ، بِطَرِيقِ الْمُصَادَفَةِ.

تَتَعَقَّدُ الْمَسْأَلَةُ أَكْثَرَ بِحَيْثُ إِنَّا نَقُولُ: هَذَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ.

فَإِذَا قَالَ لَنَا قَائِلٌ: إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ مَا لَيْسَ بِصَبِيٍّ، وَلَا مِنْ بَنِي آدَمَ؛ بَلْ فَعَلَ
ذَلِكَ الْهَوَاءُ، أَوْ فَعَلَ ذَلِكَ الْمَاءُ.

أَوْ قَالَ لَنَا: بَلْ فَعَلَ ذَلِكَ الْعَدَمُ.

مَاذَا يَكُونُ مَوْقِفُ الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الْحَالِ؟

هَلْ يُصَدِّقُ خَبَرَ مَنْ يَقُولُ بِالمُصَادَفَةِ؟ أَوْ خَبَرَ مَنْ يَقُولُ بِأَنَّ هُنَاكَ ذَاتًا ذَاتَ

إِرَادَةٍ وَبَصَرٍ، هِيَ الَّتِي فَعَلَتْ ذَلِكَ؟ يُصَدِّقُ مَنْ؟

لَا شَكَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ الْعَاقِلَ يُرَجِّحُ تَرْجِيحًا مُطْلَقًا، بِبِدَاهَةِ الْعَقْلِ وَصَرِيحِهِ، أَنَّ ذَلِكَ فِعْلٌ عَنْ قَصْدٍ، وَأَنَّ هَذَا الَّذِي أَخْبَرَ بِذَلِكَ هُوَ الصَّادِقُ.

افْترض أَنَّكَ تَمْلِكُ مَطْبَعَةً فِيهَا نِصْفُ مِلْيُونِ حَرْفٍ، مُفَرَّقَةً فِي صَنَادِيقِهَا، فَجَاءَتْ هِزَّةٌ أَرْضِيَّةٌ قَلَبَتْ صَنَادِيقَ الْحُرُوفِ وَبَعَثَتْهَا وَخَلَطَتْهَا، ثُمَّ جَاءَكَ مُنْضِدُّ الْحُرُوفِ يُخْبِرُكَ بِأَنَّهُ قَدْ تَأَلَّفَتْ مِنْ اخْتِلَاطِ الْحُرُوفِ بِالمُصَادَفَةِ عَشْرُ كَلِمَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ غَيْرِ مُتَرَابِطَةٍ الْمَعَانِي.

فَالْقَضِيَّةُ فِي هَذِهِ الْحَالِ تَكُونُ قَابِلَةً لِلتَّصْدِيقِ جِدًّا.

وَلَوْ قَالَ لَكَ: إِنَّ الْكَلِمَاتِ الْعَشَرَ أَلْفَتْ جُمْلَةً مُفِيدَةً كَامِلَةً.

فَإِنَّكَ حِينَئِذٍ تَسْتَبْعِدُهُ، وَلَكِنْ لَا تَرَاهُ مُسْتَحِيلًا، تَقُولُ: هَذَا مُمَكِّنٌ عَقْلِي، قَدْ يَقَعُ.

وَلَكِنْ، لَوْ أَخْبَرَكَ أَنَّ حُرُوفَ الْمَطْبَعَةِ بِكَامِلِهَا، تَشَكَّلَتْ وَكَوْنَتْ عِنْدَ اخْتِلَاطِهَا بِالمُصَادَفَةِ كِتَابًا كَامِلًا، مِنْ خَمْسِمِئَةِ صَفْحَةٍ، يَتَضَمَّنُ الْكِتَابُ قَصِيدَةً وَاحِدَةً، تُؤَلَّفُ بِمَجْمُوعِهَا وَاحِدَةً كَامِلَةً، مُتَرَابِطَةً مُنْسَجِمَةً بِأَلْفَاظِهَا، وَأَوْزَانِهَا، وَقَافِيَتِهَا، وَأَنَّ الْوَحْدَةَ الْعُضْوِيَّةَ^(١) قَائِمَةٌ بَيْنَ أَيْبَاتِهَا، وَأَنَّ التَّسْلُسَ التَّدْرِجِيَّ قَائِمٌ فِي تِلْكَ الْقَصِيدَةِ وَفِي مَائِهَا، لَا شَكَّ أَنَّكَ تَرَى هَذَا مُسْتَحِيلًا بِبِدَاهَةِ الْعَقْلِ وَصَرَاحَتِهِ.

(١) يُقْصَدُ بِالْوَحْدَةِ الْعُضْوِيَّةِ فِي الْقَصِيدَةِ: أَنَّ مَوْضُوعَ الْقَصِيدَةِ وَاحِدٌ يُعْبَرُ عَنْ فِكْرَةٍ رَئِيسَةٍ وَاحِدَةٍ تَنْبَثِقُ مِنْهَا أَفْكَارٌ فَرَعِيَّةٌ لَا فَرَعِيَّةٌ لَا تَخْرُجُ عَنْ مَوْضُوعِ الْقَصِيدَةِ، فَكَأَنَّ الْقَصِيدَةَ جَسَدٌ مُتَكَامِلٌ مُتَنَاسِقٌ الْأَعْضَاءُ لَا سَتَغْنَى بَعْضُهُ عَنْ بَعْضٍ.

وَالسَّبَبُ فِي رُؤْيَةِ الْإِسْتِحَالَةِ، يَعُودُ إِلَى قَانُونِ الْمُصَادَفَةِ الرِّيَاضِيِّ نَفْسِهِ.

إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ نِسْبَةَ خُرُوجِ الْأَرْقَامِ الْعَشْرَةِ مُتَسَلِّسَةً فِي مَسْأَلَةِ الْإِبْرِ، هُوَ وَاحِدٌ إِلَى عَشْرَةِ مِليَّارَاتٍ، وَلَوْ كَانَتْ الْإِبْرُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ؛ لَكَانَ احْتِمَالُ خُرُوجِهَا مُتَتَابِعًا بِالمُصَادَفَةِ - وَاحِدًا إِلَى أَلْفِ مِليَّارٍ.

وَلَوْ كَانَتْ إِحْدَى وَعِشْرِينَ إِبْرَةً؛ لَأَصْبَحَ حَظُّ الْمُصَادَفَةِ بِنِسْبَةِ وَاحِدٍ إِلَى أَلْفِ مِليَّارٍ مِليَّارٍ، فَكَيْفَ بِالتَّزَاحُمِ الَّذِي يَجْرِي بَيْنَ خَمْسِمِئَةِ أَلْفِ حَرْفٍ؛ لِتَكْوِينِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَمِئَةِ أَلْفٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ تَقْرِيبًا، بِأَشْكَالٍ وَتَرْتِيبَاتٍ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى أَبَدًا؟!
النَّتِيجَةُ هَائِلَةٌ؛ لِدَرَجَةِ أَنَّ نِسْبَةَ الْإِحْتِمَالَاتِ فِي حُدُوثِ ذَلِكَ لَا تُحِيطُ بِهَا أَرْقَامُ اللُّغَةِ.

لِكِي نَعْرِفَ مَعْنَى كَلِمَةٍ: خَمْسِمِئَةِ أَلْفِ حَرْفٍ، وَمِئَةِ وَخَمْسَةِ وَعِشْرِينَ أَلْفَ كَلِمَةٍ، وَثَمَانِيَةِ وَعِشْرِينَ حَرْفًا هِيَ الْحُرُوفُ الْهَجَائِيَّةُ؛ لِكِي نَعْرِفَ هَذَا، دَعْنَا نَدْرُسُ هَذَا النَّصَّ:

«الْبُرُوتِينَاتُ مِنَ الْمُرَكَّبَاتِ الْأَسَاسِيَّةِ فِي جَمِيعِ الْخَلَائِيَا الْحَيَّةِ، وَهِيَ تَتَكَوَّنُ مِنْ خَمْسَةِ عَنَاصِرٍ: الْكَرْبُونُ، وَالْهَيْدْرُوجِينُ، وَالنِّيْتْرُوجِينُ، وَالْأَكْسُجِينُ، وَالْكَبْرِيتُ، كُلُّ جُزْيٍ بُرُوتِينِيٍّ لَا بُدَّ أَنْ يَتَكَوَّنَ مِنْ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ، وَيَبْلُغُ عَدَدُ الذَّرَّاتِ فِي الْجُزْيِ الْبُرُوتِينِيِّ الْوَاحِدِ أَرْبَعِينَ أَلْفَ ذَرَّةٍ.

وَلَمَّا كَانَ عَدَدُ الْعَنَاصِرِ الْكِيمَاوِيَّةِ فِي الطَّبِيعَةِ يَزِيدُ عَلَى تِسْعِينَ عُنْصُرًا مُوزَّعَةً بِتَوْزِيعِ رَبَّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لَهَا وَتَقْدِيرِهِ، فَاحْتِمَالُ اجْتِمَاعِ هَذِهِ الْعَنَاصِرِ

الخَمْسَةِ؛ لِكَيْ تُكَوْنَ جُزِيئًا مِنْ جُزِيَّاتِ الْبُرُوتَيْنِ، يُمَكِّنُ حِسَابُهُ بِمَعْرِفَةِ كَمِّيَّةِ الْمَادَّةِ، الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تُخْلَطَ خَلْطًا مُسْتَمِرًّا لِكَيْ تُؤْلَفَ هَذَا الْجُزْيَاءُ، وَهَذِهِ الْمَادَّةُ تَحْتَاجُ إِلَى أَكْثَرِ مِمَّا يَتَّسِعُ لَهُ هَذَا الْكَوْنُ، بِمَلَايِينِ الْمَرَّاتِ، وَسَبَبُ هَذَا التَّرْجِيحِ يَعُودُ إِلَى أَنَّ لِلْمُصَادَفَةِ قَانُونًا رِيَاضِيًّا، لَا يُمَكِّنُ الْخُرُوجَ عَنْهُ، الْمُصَادَفَةُ لَهَا قَانُونٌ، لَا شَيْءَ فِي هَذَا الْكَوْنِ يَقَعُ اعْتِبَاطًا، حَتَّى مَا يُقَالُ لَهُ مُصَادَفَةٌ مُحْكُومٌ بِقَانُونٍ، فَيَكُونُ مُصَادَفَةٌ عِنْدَ مَنْ يُسَمِّيهِ كَذَلِكَ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، يَفْعَلُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مَا يُرِيدُ.

يَقُولُونَ فِي قَانُونِ الْمُصَادَفَةِ فِي الرِّيَاضِيَّاتِ: إِنَّ حَظَّ الْمُصَادَفَةِ مِنَ الْإِعْتِبَاطِ

يَزْدَادُ وَيَنْقُصُ بِنِسْبَةِ مَعْكُوسَةٍ، مَعَ عَدَمِ الْإِمْكَانِيَّاتِ الْمُتَكَافِئَةِ الْمُتَزَاحِمَةِ، كُلَّمَا قَلَّ عَدَدُ الْأَشْيَاءِ الْمُتَزَاحِمَةِ، اَزْدَادَ حَظُّ الْمُصَادَفَةِ الْمُدَّعَاةِ مِنَ النَّجَاحِ، وَكُلَّمَا كَثُرَ عَدَدُ الْأَشْيَاءِ الْمُتَزَاحِمَةِ، قَلَّ حَظُّ الْمُصَادَفَةِ الْمُدَّعَاةِ مِنَ النَّجَاحِ.

فَإِذَا كَانَ التَّرَاحُمُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ اثْنَيْنِ مُتَكَافِئَيْنِ، يَكُونُ حَظُّهَا حِينَئِذٍ بِنِسْبَةِ وَاحِدٍ إِلَى اثْنَيْنِ.

وَإِذَا كَانَ التَّرَاحُمُ بَيْنَ عَشْرَةٍ، يَكُونُ حَظُّهَا حِينَئِذٍ بِنِسْبَةِ وَاحِدٍ ضِدَّ عَشْرَةٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ لَهُ فُرْصَةٌ لِلنَّجَاحِ مُمَازِلَةٌ لِفُرْصَةِ الْآخَرِ، بِدُونِ أَيِّ تَفَاضُلٍ، وَبِدُونِ أَقَلِّ تَفَاضُلٍ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ.

إِلَى هُنَا يَكُونُ الْحَظُّ فِي النَّجَاحِ قَرِيبًا مِنَ الْمُتَزَاحِمِينَ حَتَّى لَوْ كَانُوا مِثَّةً أَوْ أَلْفًا؛ وَلَكِنْ مَتَى تَضَخَّمتِ النِّسْبَةُ تَضَخُّمًا هَائِلًا، يُصْبِحُ حَظُّهَا فِي حُكْمِ الْعَدَمِ، بَلْ فِي حُكْمِ الْمُسْتَحِيلِ الْعَقْلِيِّ.

وَلَكِنْ بَقِيَ عِنْدَ الْمَادِّيِّينَ مِنَ الشُّيُوعِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ، أَنَّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ إِنَّمَا وُجِدَتْ بِالمُصَادَفَةِ، وَعِنْدَمَا نَنْتَزِلُ مَعَهُمْ إِلَى هَذَا الْمُسْتَوَى فِي الْخِطَابِ الْعِلْمِيِّ؛ إِنَّمَا نُجَارِيهِمْ مِنْ أَجْلِ اسْتِنْقَاذِهِمْ.

وَالْأَفْأَنَ الْأَمْرَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ لَهُمْ: هَذَا الْكَوْنُ وَجِدَ مَا فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى تَنَوُّعِهَا مُصَادَفَةً؛ وَلَكِنَّ الْمَادَّةَ الْأَسَاسِيَّةَ مَنْ أَوْجَدَهَا؟

مَنْ الَّذِي أَوْجَدَ هَذِهِ الْمَادَّةَ الَّتِي تَشَكَّلَتْ مِنْهَا بِالمُصَادَفَةِ أَنْوَاعُ الْمَخْلُوقَاتِ!

هَذَا مِنْهُمْ؛ لِأَنَّ أَقْوَامًا عِنْدَمَا يَلْعَبُونَ -مَثَلًا- بِالْجِينَاتِ، وَيَقُولُونَ: نَسْتَطِيعُ بِالْهِنْدَسَةِ الْوِرَاثِيَّةِ أَنْ نَخْلُقَ كَذَا، وَأَنْ نَخْلُقَ كَذَا، نَقُولُ: هَذَا غَيْرُ مُسْلِمٍ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ تَتَعَامَلُونَ مَعَ مَخْلُوقٍ مَوْجُودٍ، فَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَأَوْجِدُوهُ أَنْتُمْ مِنَ الْعَدَمِ.

مَا الَّذِي صَنَعْتَ؟ أَنْتَ أَخَذْتَ مِنَ النَّوَاةِ مَا أَخَذْتَ مِنَ الْكُرْمُوسُومَاتِ، وَمَا أَشْبَهَ، وَحَوَّرْتَ ذَلِكَ، وَوَضَعْتَ هَذَا فِي هَذَا، حَتَّى أَنْبُوبُ الْإِخْتِبَارِ، هَلْ خَلَقْتَهُ أَنْتَ؟ هَلْ أَوْجَدْتَهُ مِنَ الْعَدَمِ؟!

إِنَّ الْقَضِيَّةَ فِي أَصْلِهَا، إِنَّمَا هِيَ فِي إِيجَادِ هَذَا الْكَوْنِ كُلِّهِ مِنَ الْعَدَمِ، مِنْ لَا شَيْءٍ، لَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ شَيْءٌ أَوَّلِيٌّ أَوْجَدَ اللَّهُ وَخَلَقَ مِنْهُ الْمَادَّةَ بِتَنَوُّعِهَا، وَإِنَّمَا أَوْجَدَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ لَا شَيْءٍ، مِنَ الْعَدَمِ، يَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.

فَالَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُحَوِّرُوا، وَأَنْ يُبَدِّلُوا، وَأَنْ يُغَيِّرُوا فِي مَسْأَلَةِ الْجِنْسِ الْإِنْسَانِيِّ عِنْدَ التَّخْلِيقِ، وَأَنْ يَعْرِفُوا أَذْكَرَ هُوَ أَمْ أُنْثَى؟ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ.

يُقَالُ: مَا صَنَعْتُمْ شَيْئًا، إِنَّمَا أَخَذْتُمْ الْمَادَّةَ الْمَخْلُوقَةَ لِلَّهِ، أَخَذْتُمُوهَا أَنْتُمْ، وَأَنْتُمْ مَخْلُوقُونَ لِلَّهِ، فَجَعَلْتُمْ تِلْكَ الْمَادَّةَ الْمَخْلُوقَةَ لِلَّهِ، وَأَنْتُمْ مَخْلُوقُونَ لِلَّهِ فِيمَا خَلَقَ اللَّهُ.

فَمَاذَا صَنَعْتُمْ؟!

أَنْتُمْ تَلْعَبُونَ.

وَالْخَلْقُ لِمَنْ؟

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

هَذِهِ الْمَادَّةُ الصَّمَاءُ، الْإِنْسَانُ مَخْلُوقٌ مِنَ الْمَادَّةِ، كَمَا خُلِقَ أَبُوهُ آدَمُ مِنَ الطِّينِ؛ وَلَكِنَّ هَذَا الطِّينَ لَمَّا نُفِخَتْ فِيهِ الرُّوحُ، صَارَ حَيًّا، مُتَحَرِّكًا مُجِبًّا، مُبْغِضًا، رَائِحًا وَجَائِيًّا، يَقُولُ، وَيَتَكَلَّمُ، وَيُعْرِبُ عَنْ نَفْسِهِ، صَارَ كَائِنًا حَيًّا، ثُمَّ تُسَلَبُ مِنْهُ الرُّوحُ، فَيَصِيرُ الْجَسَدُ إِلَى التُّرَابِ، فَهَذِهِ هِيَ الْقَضِيَّةُ.

وَلَيْسَتْ الْمَسْأَلَةُ رَاجِعَةً إِلَى الْعَبَثِ الَّذِي يَعْبَثُونَ.

فَإِذَنْ: لَوْ تَنَزَّلْنَا مَعَهُمْ، وَقُلْنَا لَهُمْ: نَعَمْ، فَلَنَنْظُرَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي تَتَكَلَّمُونَ فِيهَا، صَنَعُوا لَنَا مِنَ الْمَادَّةِ الْمَخْلُوقَةِ الَّتِي هِيَ فِي الْأَصْلِ مَوْجُودَةٌ أَمَامَكُمْ، وَفِي مُتَنَاوَلِ أَيْدِيكُمْ، صَنَعُوا مِنْهَا جُزِيئًا وَاحِدًا مِنَ الْبُرُوتِينَ، لَا يَسْتَطِيعُونَ!

قَامَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْكُفَّارِ بِحِسَابِ هَذِهِ الْعَوَامِلِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَتَوَفَّرَ، حَتَّى يَتَكَوَّنَ جُزْيٌ وَاحِدٌ مِنَ الْبُرُوتِينَ بِالْمُصَادَفَةِ؛ لِكَيْ يَبْدَأَ أَوَّلُ جُزْيٍ بُرُوتِيْنِي فِي الْحَيَاةِ، فَمَا تَقُولُ فِيمَا وَرَاءَ الْجُزْيِ؟!

قَامُوا بِحِسَابِ هَذِهِ الْعَوَامِلِ، فَوَجَدُوا أَنَّ الْفُرْصَةَ لَا تَنْتَهِي عَنْ طَرِيقِ الْمُصَادَفَةِ،
لِتَكُونِ جُزْيٌ بُرُوتِيْنِي وَاحِدٍ إِلَّا بِنِسْبَةِ وَاحِدٍ إِلَى عَشْرِ أَمَامَهَا مِنْهُ وَسِتُّونَ
صَفْرًا.

رَقْمٌ عَشْرَةٌ مَضْرُوبًا بِنَفْسِهِ سِتِّينَ وَمِئَةَ مَرَّةٍ، وَهُوَ رَقْمٌ لَا يُمَكِّنُ النُّطْقَ بِهِ أَوْ
التَّعْبِيرَ عَنْهُ بِكَلِمَاتٍ.

يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ كَمِّيَّةُ الْمَادَّةِ الَّتِي تَلْزَمُ لِحُدُوثِ هَذَا التَّفَاعُلِ بِالْمُصَادَفَةِ
بِحَيْثُ يَنْتُجُ جُزْيٌ وَاحِدٌ، يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْمَادَّةُ أَكْبَرَ مِمَّا يَتَّسِعُ لَهُ كُلُّ هَذَا
الْكُونِ بِمَلَايِينِ الْمَرَّاتِ.

هَذَا كُلُّهُ بِالرِّيَاضِيَّاتِ، بِالْحِسَابِ، بِالْأَرْقَامِ، هَذَا عَمَلٌ عَقْلِيٌّ مَحْضٌ، لَا عِلَاقَةَ
لَهُ بِدَيْنٍ، هَذِهِ حِسَابَاتٌ مُجَرَّدَةٌ صَمَاءً، لَا تَنْحَازُ لِأَحَدٍ، لَيْسَتْ لَهَا عَاطِفَةٌ، هَذَا
عَمَلٌ عَقْلٍ، لَا عَاطِفَةٌ وَلَا قَلْبَ مَعَهُ.

يَجِبُ أَنْ تَتَصَوَّرَ حَجْمًا هُوَ أَكْبَرُ مِنَ الْكُونِ الَّذِي تَصَوَّرُهُ أَيْنِشَتَايْنُ بِمَرَّاتٍ لَا
يُمْكِنُ أَنْ يُنْطَقَ بِهَا لِكَثْرَتِهَا، وَلِكَثْرَةِ الْأَصْفَارِ فِيهَا.

فَيَتَطَلَّبُ تَكْوِينُ هَذَا الْجُزْيِ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ وَحْدَهَا عَنْ طَرِيقِ
الْمُصَادَفَةِ، بِمَلَايِينِ لَا تُحْصَى مِنَ السَّنَوَاتِ، قَدَّرَهَا بَعْضُهُمْ بِأَنَّهَا عَشْرَةٌ مَضْرُوبَةٌ
فِي نَفْسِهَا مِئَتَيْنِ وَثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ مَرَّةً مِنَ السِّنِينَ.

يَعْنِي: عَشْرَةٌ وَتَضَعُ أَمَامَهَا هَذَا الرَّقْمُ مِنَ الْأَصْفَارِ، الرَّقْمُ: مِئَتَانِ وَأَرْبَعُونَ
وِثَلَاثٌ مِنَ الْمَرَّاتِ مِنَ الْأَصْفَارِ، هُوَ لَا يُنْطَقُ.

البروتينات تتكوّن من سلاسل طويلة من الأحماض الأمينية، فكيف تتألّف ذرات هذه الجزيئات، إذا تألّفت بطريقة أخرى غير التي تتألّف بها تكون غير صالحة للحياة؛ بل نصير في بعض الأحيان سُموماً.

إن الإيمان بوجوده تعالى هو: التصديق الجازم من صميم القلب بوجود ذاته تعالى، الذي لم يسبق بعدم، ولن يعقب به.

هو الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء، حيّ قيوم، أحد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

كل كائن موجود قد أُعطي الوجود، أعطاه غيره الوجود.

أما الله -تبارك وتعالى- فوجوده لذاته من حيث هي، وهذا معنى: أنه واجب الوجود، وما سواه فهو ممكن، بمعنى أنه كان معدوماً، فأوجده الله، ثم يسلبه وجوده بعد أن أوجده، يستوي في حقه الوجود والعدم.

فهذا لون من البحث قد نحتاجه عندما نناظر ملجداً يُنكر وجود الله -تبارك وتعالى-.

فنقيم عليه الحجة بما وصل إليه القوم من العلوم العقلية، ومن البحث في المادة نفسها، غير أنهم لم يهتدوا للوجود الحق، ولم يهتدوا لله -تبارك وتعالى-؛ لأنهم قد عموا عن رسول الله ﷺ.

فأثبتوا الخالق الذي خلق المخلوقات، أثبتوا الموجد الذي أوجدها ولكنهم

لَمْ يَعْرِفُوا الدِّينَ الْحَقَّ؛ لِأَنَّهُ لَا يُعْرَفُ إِلَّا مِنْ قِبَلِ الْوَحْيِ، وَقَدْ صُدُّوا عَنْ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ.

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِيمَانِ، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ.
فَهَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِأَوَّلِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي تَجْعَلُ الْمَرْءَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ حَقًّا، وَثَانِي
هَذِهِ الْأُمُورِ: تَوْحِيدُهُ سُبْحَانَهُ بِالْهَيْتَةِ؛ فَمَا تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ؟



س (٤٤): مَا هُوَ تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ؟

ج: هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ ﷻ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، قَوْلًا وَعَمَلًا، وَنَفْيُ الْعِبَادَةِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى كَائِنًا مَن كَانَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَهَذَا قَدْ وَفَتْ بِهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. [١]

الشرح

[١] تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ، أَوْ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ، هُوَ:

إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَفْعَالِ الْعِبَادَةِ؛ أَي: صَرَفُ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ مِنْ ذَبْحٍ وَنَذِيرٍ، وَدُعَاءٍ وَتَوَكُّلٍ، وَخَوْفٍ، وَرَجَاءٍ، وَإِنَابَةٍ، وَرَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ وَخَشْيَةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَهَذَا هُوَ تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ.

وَهُوَ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ الْخُصُومَةُ، وَوَقَعَ فِيهِ النِّزَاعُ؛ لِأَنَّ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، قَدْ أَقْرَبَ بِهِ الْقَوْمَ، كَمَا أَثْبَتَ ذَلِكَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ عَاقِلٌ، يَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْكَوْنَ لَمْ يَخْلُقْهُ اللَّهُ، وَلَا يَمْلِكُهُ، وَلَا يُدَبِّرُ أَمْرَهُ؟!

الْإِنْسَانُ فِي فِطْرَتِهِ أَنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- هُوَ خَالِقُ الْخَلْقِ، وَمَالِكُ الْكَوْنِ،

وَهُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ؛ وَلِذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ وُجُوهِ الْإِعْجَازِ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ مِمَّنْ تَكَلَّمَ فِي الْإِعْجَازِ، أَنَّنَا إِذَا نَظَرْنَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَجَدْنَا رَبَّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يُكَلِّمُنَا بِكَلَامٍ لَا يَصْدُرُ إِلَّا مِنَ الْإِلَهِ الْقَادِرِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ الْخَبِيرِ الْقَوِيِّ الْمَتِينِ، إِلَى آخِرِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْمُثَلَّى، يَقُولُ:

خَلَقْتُ، هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُعَارِضَ الْقُرْآنَ؟

إِذَا عَارَضَ أَحَدُ الْقُرْآنِ، نَقُولُ: مَاذَا خَلَقْتَ؟

اللَّهُ ﷻ فِي الْقُرْآنِ، يَقُولُ: خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، خَلَقْتُ الْجِبَالَ، أَصْرَفُ الرِّيَّاحِ، أَوْجَدْتُ النَّاسَ مِنَ الْعَدَمِ، وَخَلَقْتُ الْكَوْنَ مِنْ لَا شَيْءٍ، وَأَفْعَلُ وَأَفْعَلُ، فَمَنِ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَارِضَ الْقُرْآنَ؟

فَهَذَا الْوَجْهُ مَنْ أَظْهَرَ وُجُوهِ الْإِعْجَازِ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، أَنَّ الَّذِي تَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ - وَهُوَ اللَّهُ - يَتَكَلَّمُ فِيهِ ﷻ عَنْ قُدْرَتِهِ.

فَمَنِ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ فِي كَلَامٍ يُعَارِضُ بِهِ الْقُرْآنَ: إِنَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، أَوْ إِنَّهُ يَخْلُقُ شَيْئًا؟

وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَنَّهُمْ وَمَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَوْ اجْتَمَعُوا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا مَا اسْتَطَاعُوا.

بَلْ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ، أَنَّهُمْ يُلَطِّخُونَ أَصْنَامَهُمْ بِالطِّيبِ، فَيَأْتِي الذُّبَابُ فَيَقَعُ عَلَيْهَا فَيَسْلُبُ بَعْضَ الطِّيبِ بِخُرْطُومِهِ، أَوْ يُلَطِّخُونَ أَصْنَامَهُمْ بِدِمَاءِ ذُبَابِهِمْ وَقَرَابِينِهِمْ، فَيَقَعُ الذُّبَابُ عَلَى ذَلِكَ، وَيَأْخُذُ بِخُرْطُومِهِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.

هَلْ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ؟

حَتَّى هَذَا لَا يَسْتَطِيعُونَهُ، فَمَا الَّذِي يَسْتَطِيعُونَ إِذَنْ؟!

إِذَنْ، الْقَوْمُ أَفْرُوا بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَظِيمُ، وَهُوَ الرَّزَّاقُ الْكَرِيمُ، وَهُوَ
مَالِكُ الْمُلْكِ، وَمُدَبِّرُ الْأَمْرِ، وَقَدْ وَافَتْ بِذَلِكَ جَمِيعَةُ الْفِطْرَةِ السَّوِيَّةِ الَّتِي لَمْ
تَنْحَرَفْ.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - الْكُتُبَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ؛ لِيُبَيِّنَ لِلخَلْقِ كَيْفَ
يَعْبُدُونَهُ؟ وَمَا هِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي يَعْبُدُونَهُ **تَعَالَى** بِهَا؟

فَبَيَّنُوا الْعَقِيدَةَ، وَوَضَّحُوا الشَّرِيعَةَ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ،
وَأَقَامُوا لِلنَّاسِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَحَذَّرُوهُمْ مِنَ الْإِنْحِرَافِ عَنْ هَذَا الصِّرَاطِ
الْمُسْتَقِيمِ، فَانْحَرَفَ أَقْوَامٌ.



س (٤٥): مَا هُوَ ضِدُّ تَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ؟

ج: ضِدُّهُ الشُّرْكُ، وَهُوَ نَوْعَانِ: شُرْكٌ أَكْبَرُ يُنَافِيهِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَشُرْكٌ أَصْغَرُ يُنَافِيهِ كَمَالَهُ.



س (٤٦): مَا هُوَ الشَّرْكُ الْأَكْبَرُ؟

ج: هُوَ اتِّخَاذُ الْعَبْدِ مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا يُسَوِّيهِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ؛ يُحِبُّهُ كَحُبِّ اللَّهِ، وَيَخْشَاهُ كَخَشْيَةِ اللَّهِ، وَيَلْتَجِيْهِ إِلَيْهِ، وَيَدْعُوهُ، وَيَخَافُهُ، وَيَرْجُوهُ، وَيَرْغَبُ إِلَيْهِ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، أَوْ يُطِيعُهُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، أَوْ يَتَّبِعُهُ عَلَى غَيْرِ مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُفِثَ مِنْ يَشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ، أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(١)، وَهُوَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

وَيَسْتَوِي فِي الْخُرُوجِ بِهَذَا الشَّرْكِ عَنِ الدِّينِ، الْمُجَاهِرُ بِهِ؛ كَكُفَّارِ قَرِيشٍ وَغَيْرِهِمْ، وَالْمُبْطِنُ لَهُ؛ كَالْمُنَافِقِينَ الْمُخَادِعِينَ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ وَيُبْطِنُونَ الْكُفْرَ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٨٥٦، ٥٩٦٧، ٦٢٦٧، ٦٥٠٠)، وَمُسْلِمٌ (٣٠)، مِنْ حَدِيثِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٥-١٤٦]، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ. [١]

الشرح

[١] **الشُّرْكُ الْأَكْبَرُ:** هُوَ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ غَيْرَ اللَّهِ يَخْلُقُ أَوْ يَرْزُقُ، أَوْ يُحْيِي أَوْ يُمِيتُ، أَوْ يَعْلَمُ الْغَيْبَ، أَوْ يَتَصَرَّفُ فِي الْكَوْنِ.

أَوْ أَنْ يَصْرِفَ إِنْسَانٌ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ **عَلَّاهُ**؛ كَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، وَالذَّبْحِ، وَالنَّذْرِ، وَالِدُّعَاءِ وَالْخَوْفِ، وَالْخَشْيَةِ، وَالرَّجَاءِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا هُوَ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، هَذَا هُوَ الشُّرْكُ الْأَكْبَرُ.

وَهَذَا كُلُّهُ يُنَافِي التَّوْحِيدَ بِالْكُلِّيَّةِ، فَيُنَافِي أَصْلَهُ، فَيَكُونُ شِرْكًَا أَكْبَرَ. وَهَذَا نَاقِلٌ عَنِ الْمِلَّةِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالثَّبَاتَ وَالسَّلَامَةَ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

فَالشُّرْكُ شِرْكَانِ:

شُرْكٌ أَكْبَرُ يُنَافِي التَّوْحِيدَ بِالْكُلِّيَّةِ، وَهُوَ نَاقِلٌ عَنِ الْمِلَّةِ، وَقَدْ مَرَّ تَعْرِيفُهُ وَأَمِثْلَتُهُ.

وَأَمَّا النَّوعُ الثَّانِي، فَهُوَ الشُّرْكُ الْأَصْغَرُ: كَالْحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ، مِنْ غَيْرِ تَعْظِيمٍ، وَهَذَا الْقَيْدُ مُهِمٌّ - مِنْ غَيْرِ تَعْظِيمٍ -، وَكَقَوْلٍ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَمِنْهُ يَسِيرُ الرِّيَاءُ، وَهَذَا النَّوعُ - وَهُوَ الشُّرْكُ الْأَصْغَرُ - مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ بَعْدَ الشُّرْكِ الْأَكْبَرِ...